الرسالة

شق طريقه وسط السحاب بقوة.. فلابد أن يصل إلى هدفه وبسرعة.. فلا وقت له لأي تأخير.. وكيف يتأخر عن أمر من أرسله وهو من سُخر له كل شيء.. كيف يتأخر وهو يعرف أن نتيجة أية تقاعس منه ستكون إما الذبح أو العذاب الشديد.. فالعهد التزام.. وهو فضلاً عن ذلك يُكنُ لمن أرسله كل التقدير والاحترام.. كيف لا وهو على الرغم من قوته وتمكينه عادلٌ حكيم؟..

زادت تلك الأفكار من عزمه وسرعته.. وحملته الريح بسرعة مخترقاً عباب السماء والزمن.. قبض بأسنانه بقوة على ذلك الكتاب الكريم الذي يحمله بين أسنانه.. فتلك هي الرسالة التي سيلقيها في محطته الأخيرة.. ويالها من محطة.. ها هو أخيراً قد وصل.. فها هي قبة الصخرة الصفراء تلوح من تحت السحاب.. وها هي كنيسة القيامة تقرع أجراساً حزينة باكية.. وها هو مهد السيد المسيح عليه السلام يبحث عن الخلاص.. دارت عيونه بلهفة تبحث عن شيء ما.. وتلفت يميناً ويساراً بشوق.. ثم توقف عن البحث فجأة عندما وجد ضالته.. ملأ عينيه

بالمشهد بشغف.. ودارت حدقتيه في مقلتيها تتأمله.. ثم أذرفت عبرات ساخنة تساقطت من عينيه كصيبٍ منهمر من السماء.. فها هو المسجد الأقصى أمام ناظريه.. هُنا صلى سيده مع إخوته.. وهنا كان مؤتمر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.. وهنا صلوا مجتمعين للواحد القهار.. وهنا بَدَأَتْ أقدس رحلة في التاريخ.. رحلة إلى السماء.. وإلى المنتهى..

هبط الهدهد إلى المدينة الحزينة بصمت.. وتناهى إلى مسامعه صوت تراشق الحجارة وهتافات التكبير.. وَدَوِيّ الرشاشات.. ولكنه لم يبال بكل ذلك ومضى في طريقه بحسم إلى هدفه.. دخل طائراً من شرفة من شرفات الأقصى وحام عدة مرات في ساحته القديمة ثم هبط إلى أرضية المسجد ومشى عليها متبختراً ورأسه تتلفت يميناً ويساراً وكأنه يبحث عن شيء ما.. بل بالأحرى.. شخص ما..

وفجأة دخل من الباب ذلك الشخص.. شاب فتى.. قوي الجسم.. حسن الوجه.. أبيضه.. شديد سواد الشعر.. ألمعه.. دخل بهدوء إلى ساحة المسجد بسكينة.. وعيناه تتلألأ ببريق عجيب.. لعله بريق الندم.. أو الأمل.. مضى قليلاً ثم توقف واستقبل شطر البيت العتيق.. ثم رفع يديه وكبر في خشوع.. وبدأ صلاته.. واقترب.. حلّق الهدهد بخفة إلى أن

وصل إلى أعلى العامود الذي يصلي خلفه الشاب ربض ينتظره ويستمع إلى نحيبه المكتوم وشهقاته المتلاحقة ودعائه الضارع..

رابط الهدهد في صبر إلى أن انتهى الشاب من صلاته ومسح وجهه بيديه في بطء.. ثم رفع يديه إلى السماء. وهنا تحرك الهدهد.. فهذه كانت الإشارة التي ينتظرها.

هبط الهدهد بهدوء إلى جوار الشاب ممسكاً الرسالة بفِيه في قوة.. ثم أصدر صوتاً حانياً جعل الشاب ينظر إليه بحيرة.. وازدادت حيرته أكثر عندما رأى الرسالة في فمه.. أصدر الهدهد صوته مرة أخرى وكأنه يقول له:

خذ رسالتك.. خذها إنها بسم الله الرحمٰن الرحيم.

ووصل الرجاء إلى عقل الشاب فمد يده إلى الرسالة ببطء.. واقتربت يده إلى الرسالة.. واقتربت.. وفجأة طار الهدهد بعدما ترك فوه الرسالة وسقطت في أرض المسجد.. وهنا التقطها الشاب بسرعة ولهفة، وما أن لمسها حتى أحس بقشعريرة تسري في أوصاله من رأسه إلى أخمص قدميه.. وأحس بنشوة لذيذة.. نشوة لطالما دعا الله أن يحصل عليها.. وقد استجيب له وقد حان دوره أن يجيب..

فض الرسالة في سرعة وقرأ عليها ما نصه: بسم الله الرحمٰن

الرحيم.. إلى محمد عبد الله المهدي: السلام على من اتبع الهدى.. أما بعد.... .

ثم انكب الشاب على قراءة الرسالة بلهفة.. وما أن فرغ منها حتى رج المكان صوت آذان الفجر.. ووحدت الديوك خالقها.. وسجد الشاب شكراً لله.. وطار الهدهد واستقر على أقرب شجرة منتظراً شروق الشمس.. شمس الهداية.. بعد ظلام ليل دامس.. وبعد طول انتظار... وتوافد جموع المصلين إلى داخل المسجد.. الذي بورك من حوله.. ليقيموا الصلاة.. بعد طول انتظار...

obeikandl.com